

أشعار معجم البلدان المنهج والدلالة والأداء

د. عمر الأسعد*
جامعة اليرموك

ABSTRACT

This research deals with the poems of "Mujam Al Buldan" by Yaqt Al Hamawi as a rich branch of knowledge contained by what is called "Literary Geography" books.

Studying the poems leads eventually to the study of its poets, thus I can say they are divided into two parts: well known poets, and less popular ones. Yaqt included a lot of poems for these poets, making his book a unique reference, and earned the name "Yaqt's Diwan of Poetry".

In my study I illustrated many poetic phenomenas.

This research was provided with statistical tables and data that are the first of their kind. These tables are important tools that help the reader to reach certain conclusions about the poems and poets included in the "Diwan".

ملخص

يتناول هذا البحث أشعار معجم البلدان على أنها فرع من فروع المعرفة الثرة التي تقدمها كتب الجغرافيا الأدبية، متمثلة في معجم ياقوت. ويعرض جماليات هذه الأشعار في المنهج والدلالة والوجود الفني في الأداء.

ويقود الكلام على شعر المعجم إلى الكلام على شعرائه بطبيعة الحال، وبدا لي أن شعراء المعجم سنفان: الأول طائفة من الشعراء المشهورين هم في كثيرتهم الكثيرة شعراء المجموعات الشعرية المشهورة كالفضلليات وطبقات الفحول والجمهرة، والثاني شعراء أغفال مقلون أحيا ياقوت ذكرهم فغدا معجمه ديواناً لكثير من أشعارهم ومرجعاً فريداً لها. من هنا يكتسب شعر المعجم أهمية خاصة من حيث إنه حفظ أشعاراً كثيرة شاردة لا توجد في مرجع آخر، فجاز لنا أن نطلق عليه «ديوان ياقوت الشعري». فهو ديوان حوى ما يحويه الديوان من أغراض شعرية متنوعة، لا تختص بشعر البلدان وحده ولا تقف عنده، ومن أساليب شعرية فريدة، فيها من جماليات الدلالة ضروب واللوان لا يغيب فيها الحنين المرتبط بذكر الأماكن والبلدان في الشعر، وفيه من رائق الصور وجميل العبارة ما لا يكاد يخلو منه موضع من مواضع الاستشهاد. وعرضت خلال ذلك كله إلى مجموعة من الظواهر المتصلة بشعراء المعجم وأشعارهم، مثل تفاوت مواضع الاستشهاد للشعراء، كثرة وقلة، وتفاوت عدد الأشعار المستشهد بها في الموضع الواحد، ونسبة الشعر إلى صاحبه في أغلب الأحيان.

وقد زوّدت البحث بجداول إحصائية غير مسبوق إليها، تساعد في الوصول إلى حقائق واستنتاجات مهمة تتعلق بعدد أشعار المعجم وعدد مواطن الاستشهاد فيه، والشعر المنسوب لمقلته وغير المنسوب وعدد شعراء المعجم مقارناً بشعراء المجموعات الشعرية السابقة له، والشعراء المكررين الذين استشهد بشعرهم، وتوزيع الأشعار على بحور الشعر، وتوزيع الأشعار على القوافي المطروقة.

لقد اقتضى نظم معجم البلدان في سلك الجغرافية الأدبية^(١)، ان يكون حافلا بالشواهد الشعرية، وانه لذلك. فقد نيف مجموع الأشعار المستشهد بها في المعجم على خمسة عشر ألف بيت^(٢) (انظر الجدول ١) ويصح أن يعدّ هذا الكمّ الهائل ديواناً ضخماً من دواوين الشعر العربي، لأنه جمع من ضروب الشعر وشؤونه ما قد لا نجده في كثير من دواوين العرب. ففيه من الشعر ما يستدعيه الطمع والشوق والطرب والغضب والوفاء على حد قول ابن قتيبة^(٣). وقد عبّر المرحوم محمد كرد علي عن ذلك بقوله «يتألف من الأبيات والقصائد التي استشهد بها ياقوت في معجم البلدان، ديوان جميل يحوي كلّ ما يفيد من رائق الشعر»^(٤).

وسأشهد للكلام على الشعر بذكر الشعراء نتعرفهم ونقف على احوالهم في «ديوان شعر ياقوت». فلقد جاء الشعر في هذا الديوان في أكثره مقروناً بقائله، وجاء أقلّه مجهول القائل. وهذا المجهول أمكن معرفة بعضه ونسبته إلى قائله بالرجوع الى دواوين الشعراء والمطّان الشعرية، أوبقرينة ذكر اسم القائل في موطن آخر من مواطن الاستشهاد في المعجم^(٥).

وبالإضافة إلى ما ورد من شعر منسوب وشعر مجهول، فقد ورد في ثنايا مواد الكتاب استشادات بشعر نُقل على ألسنة الرواة من أهل اللغة والأدب (انظر الجدول ١).

من الشعراء الذين استشهد ياقوت بأشعارهم في معجمه أو أكثر من الاستشهاد بها؟ إنهم الشعراء الجاهليون والإسلاميون في جلّهم وكثرتهم الغالبة. وإذ يعدّ المعجم كتاباً جغرافياً فمن البديهي أن يقع فيه الاستشهاد بشعر المواضع والأماكن. وإذ كثر ذكر هذه الأماكن في أشعار

(١) انظر مقدمة كتاب كراتشكوفسكي: تاريخ الأدب الجغرافي العربي.

(٢) جمعت أشعار معجم البلدان فيما أسميته «مجمع أشعار معجم البلدان» مرتبة على القوافي، ومبرأة من الزيف والتصحيف، ومتبوعاً كلّ منها بقافيته، وقائله، واسم الموضع الذي ذكر فيه الشعر في المعجم، مع الجزء والصفحة، والبحر العروضي للشعر. وأتبعت ذلك جميعاً بفهرس عام لأسماء شعراء المعجم، يسهل الرجوع إليه الوقوف على شعر أي شاعر من هؤلاء.

(٣) انظر الشعر والشعراء ١ : ٧٨ وما بعدها.

(٤) الرسالة، المجلد ٥ ص ١٦٤٧.

(٥) فعلت ذلك في «مجمع أشعار معجم البلدان» الذي أشرت إليه قبل قليل، ونسبت ذاك الشعر المجهول إلى قائله. ولم أتبع مواضع الشعر المجهولة القائل تتبع استقصاء، بل أثبت ما عني من أسماء الشعراء عَرَضاً لدى تصفّح الدواوين الشعرية ومراجعتها، لتوثيق الروايات والتثبت من النسبة فاجتمع لي بذلك حصيلة طيبة.

المتقدمين من الشعراء ، فقد كثر الاستشهاد بأشعارهم ، فتكرر ذكر الأعشى وامرئ القيس وليبد والراعي وكثير ، ومن نظم شعره على شاكلتهم فأكثر من ذكر المواطن والديار والمواقع والآثار^(٦) (انظر الجدول ٤ و ٥).

وشعراء المعجم معروفون في زمان المؤلف ، وفي المجموعات الشعرية القديمة مثل طبقات فحول الشعراء والمفضليات وجمهرة أشعار العرب . فشعراء طبقات الفحول الذين اختارهم ابن سلام - وعدتهم مئة وأربعة عشر شاعرا - من شعراء المعجم عدا خمسة عشر منهم لم يرد لهم ذكر عند ياقوت^(٧) ، وشعراء المفضليات - وهم ستة وستون - من شعراء المعجم كذلك عدا بضعة منهم^(٨) ، وشعراء الجمهرة - وهم تسعة وأربعون شاعرا - من شعراء المعجم عدا ثلاثة^(٩) . إن كون شعراء هذه المجموعات الشعرية في جملتهم ، من شعراء معجم البلدان ، يجلي بوضوح صورة شعراء ديوان معجم ياقوت ، خصوصا إذا علمنا أنهم أكثر من استشهد لهم ياقوت في معجمه . (انظر الجدول ٣ ، ٤).

(٦) لاحظت ذلك في عملي في مجمع الأشعار ، ويمكن الوقوف عليه بنظرة عجل في كشف شعراء معجم البلدان الملحق بالمجمع ، وما روي للشعراء المشار إليهم وأضرابهم من الأشعار كثرة . ويؤيده على سبيل المثال التعليقات الملحقة بديوان كثير عزة التي كتبها الشيخ حمد الجاسر للتعريف بأسماء بعض الأماكن المذكورة في شعر كثير ، دلالة على كثرة هذه الأسماء في شعره .

(٧) تفصيل ذلك أنه استشهد بشعراء طبقات فحول الجاهلية العشر ، عدا ثلاثة من شعراء الطبقة التاسعة هم : ضياء بن الحارث البرجمي والحويذرة وسحيم عبد بني الحسحاس ، وبشعراء طبقة أصحاب المراثي عدا واحد هو كعب بن سعد الغنوي ، وبشعراء المدينة والطائف والبحرين جميعاً ، وبشعراء مكة عدا خمسة منهم هم : الزبير بن عبد المطلب ومساقر بن أبي عمرو وأبو عزة الجمحي وعبدالله بن حذافة السهمي وهبيرة بن أبي وهب المخزومي ، وبشعراء طبقة يهود عدا ثلاثة منهم هم : شريح بن عمران وأبو قيس بن رفاعة وأبو الذبيل ، وبشعراء طبقات فحول الاسلام عدا واحد في الطبقة الثالثة هو عمرو بن أحر الباهلي ، وآخر في الخامسة هو نوفع بن لقيط الأسدي ، واثنين في السابعة هما ابن مفرغ الحميري وزيادة الأعجم ، وواحد في الثامنة هو قراد بن حنش . انظر طبقات فحول الشعراء ٢ : ٩٩١ - ٩٩٥ وقارن بكشاف شعراء معجم البلدان الملحق بمجمع أشعار المعجم ، السابق ذكره . وربما استشهد ياقوت بأشعار بعض هؤلاء المستثنين دون أن يذكره فعَدَّناهم مع المجهولين .

(٨) هم ثعلبة بن صعيبر المازني وراشد بن شهاب الشكري وعبد قيس بن خفاف وعبد المسيح بن عسلة والكلبة العري ومقاس العائذي . انظر المفضليات ص ٤٣٦ - ٤٣٧ ، وقارن بكشاف شعراء معجم البلدان .

(٩) هم عمرو بن امرئ القيس من أصحاب المذاهب ، ومحمد بن كعب الغنوي من أصحاب المراثي ، وعمرو بن أحر من أصحاب المشويات . انظر جمهرة أشعار العرب ص ٩٨ وما بعدها ، وقارن بكشاف شعراء معجم البلدان - ومحمد بن كعب بن سعد المذكور هنا في أصحاب المراثي (الجمهرة ص ٥٥٥) هو عند ابن سلام (الطبقات ١ : ٢١٢) كعب بن سعد ، والقصيدة المختارة له فيها واحدة .

على أنه استشهد أيضا بشعر طائفة من الشعراء أقل شهرةً وذويع صيتٍ وذكرهم في مواضع مختلفة من كتابه. وكثير منهم من شعراء هذيل وأسد خاصة، فصَحَّ أن يكون «ديوان ياقوت الشعري» مرجعاً لشعراء هذه القبائل من جهة، وللشعراء المغمورين المقلّين من جهة أخرى، مع ملاحظة أن بعض هذا الشعر غير موجود في غير ياقوت^(١٠).

ومثلما كثر في ديوان ياقوت الاستشهاد بشعر الأقدمين، فقد قلَّ الاستشهاد فيه بشعر عصريّه أو مَنْ قَرُبَ منهم من المتأخرين، لقلة ذكر الديار والأماكن في أشعارهم^(١١)، وقلّت أيضا عنده أشعار الشعراء المقلّين غير المعروفين، أو المعروفين بغير الشعر^(١٢).

ولقد تفاوتت مواضع الاستشهاد في الديوان كثرة وقلة، فبلغت في أكثرها ٢٧٩ موضعا عند كثير، وموضعا واحداً عند كثيرين، وتراوحت بعد ذلك في المعدل بين عشرة مواضع وأربعين إذا استثني الشعراء الذين كثر الاستشهاد بأشعارهم.

أما نسبة الشعر الذي نسبته ياقوت إلى أصحابه فنسبة صحيحة، دلَّ على ذلك الرجوع إلى دواوين الشعراء لتوثيق الشعر وتوثيق نسبته إلى أصحابه. ولقد بالغ في الدقة في نسبة الأشعار لأصحابها، فإذا شكَّ فيها أو عرف نسبته إلى غير شاعر، صرح بهذا الشك، ونَبّه إلى صاحب الشعر وإلى نسبته أيضا لغيره^(١٣). وانسجما مع مبدأ الدقة في النسبة عمد في الشعر المجهول

(١٠) إذا كان شعر بعض القبائل قد جمع في دواوين مطبوعة - مثل شعر بني هذيل الذي جمع في ديوان الهذليين وشرح أشعار الهذليين - فلعل ديوان ياقوت المرجع لأشعار شعراء من هذيل لم ترد أشعارهم في المجموعتين السابقتين، فمثلاً بيتا الهذلي من قافية الميم (الغيب ٤ : ١٨٥) لم يردا في المجموعتين. ولعل ديوان ياقوت مرجع أيضا لما لم يرد من أشعار في دواوين أصحابها، مثاله بيتا عبيدالله بن قيس الرقيات من قافية الميم (السيل ٣ : ٢٤٣) فهما ليسا في ديوانه

(١١) استشهد لفتيان الشاغوري مثلا (ت ٦١٥ هـ) في موضعين: الزيداني ٣ : ١٣٠، وشواش ٣ : ٣٧٠، ولأسامة بن منقذ (ت ٥٨٤ هـ) في موضع واحد: خَرَّبَتْ ٢ : ٣٥٥، ولابن النبيه المصري (ت ٦١٩ هـ) في موضع واحد: حَرَّان ٢ : ٢٣٥ ولابن الساعاتي (ت ٦٠٤ هـ) في أحد عشر موضعا: باب البريد ١ : ٣٠٦، بيت الأحران: ١ : ٥١٩، جزيرة مصر ٢ : ١٣٩ (مكرر)، الخليج ٢ : ٣٨٦ (مكرر)، سيوط ٣ : ٣٠١، صدر ٣ : ٣٩٧، صيداء ٣ : ٤٣٧، المحلة ٥ : ٦٤ (مكرر).

(١٢) مثل رزق بن عبد الوهاب التميمي: برقة أنماذ ١ : ٣٩٠، وهشام بن عبد الملك: ميمذ ٥ : ٢٤٤.

(١٣) مثال ذلك نسبة شعر إلى أبي ذؤيب الهذلي وإلى أبي جندب، انظر قُرَّان ٤ : ٣١٨.

القائل إلى توضيح دائرة هذا المجهول، وعرف بالقائل الخامل الذكر بمعروف يلوز به^(١٤).

وكان إذا ذكر الشاعر ذكر ما اشتهر به من اسم أو لقب أو نسبة. كأن يقول: قال لبيد، أو قال الفرزدق، أو قال السعدي، يريد المخيل، أو قال الهذلي، يريد أبا ذؤيب. وفي مقابل هذا الاختصار كان أحياناً يطيل باسم القائل إطالة غير مفيدة^(١٥).

إن أول ما يدور في خلد المتصفح معجم البلدان، الناظر في أشعاره، أنه سيقع على مجموعة من شعر الأطلال ذات العلاقة بالبلدان والمواقع والأماكن. وما أسرع ما يجد فيه أبعد من ذلك، يجد فيه أغراضاً مختلفة تتجاوز ذكر الأماكن والمواقع، وتتعداه إلى كثير مما لا يمت إلى الأماكن وجغرافيتها بصلة - مما سيأتي تفصيله في الكلام على الدلالات الشعرية - لذا صح أن يتألف من أشعار المعجم لتعدد أغراضها وتنوع دلالاتها، «ديوان ياقوت الشعري» كما أسميته.

إن في معجم البلدان أمشاجاً من الشعر تدفع إلى التساؤل عن الدوافع التي حدثت بياقوت إلى أن يجمع شملها ويلتم شعثها ويبيثها في أرجاء المعجم، وهو على علم بأن كثرة كثرة منها ليست من أشعار البلدان. ولعلنا نجد الجواب فيما عقدناه من مقارنة بين معجم البكري ومعجم ياقوت، فقد حدّد البكري غرضه في مقدمة كتابه بأنه لغوي بحث، يقوم على الضبط وتصحيح الأسماء أولاً^(١٦)، خلافاً لما هدف إليه ياقوت من إثبات المعلومات الوصفية المختلفة، مهما تشعبت المعارف وتباعدت. فجاء ذكر الأشعار المتصلة بالنواحي الجغرافية - من أشعار الحنين والشوق إلى الديار وذكر الأيام والوقائع ووصف الأماكن الدائرة وما إلى ذلك - مكملها

(١٤) من الأول - وهو توضيح دائرة المجهول - أن ينسب الشعر مثلاً إلى بعض الأعراب (زبالة ٣ : ١٣٠)، أو إلى بعض شعراء المعرة (فامية ٤ : ٢٣٤)، أو إلى الهذلي (نقواء ٥ : ٣٠٠). ومن الثاني - وهو التعريف بالقائل المجهول - قوله: قال العلاء بن قرظة خال الفرزدق (برقة قادم ١ : ٣٩٧).

(١٥) كقوله مثلاً: وقال عبدالعزيز بن زرارة بن جن بن عوف بن كعب بن أبي بكر بن كلاب (حمة ٢ : ٣٠٦) وقوله: انشدني أبو الفضل محمد بن مياس بن أبي بكر بن عبدالعزيز بن رضوان بن عباس بن رضوان بن منصور بن رويد بن صالح بن زيد بن عمرو بن الزمار بن جابر بن سهي بن عليم بن جناب العرمان، من ناحية صرخد من عمل حوران من أعمال دمشق لنفسه (العرمان ٤ : ١١٠).

(١٦) انظر مقدمة معجم ما استعجم، الصفحة هـ. والمقارنة في بحث لي عنوانه: معجم البلدان - موسوعة الجغرافيا الأدبية.

ومتصلاً بها اتصالاً حرص ياقوت من أجله على ذكرها^(١٧)، ولعل الفرق بين ما صنعه البكري باقتصاره على ذكر الأبيات المتعلقة بالأماكن وضبطها، وبين صنيع ياقوت بالاستطراد في الأشعار، والتوسع في ذكرها، هو الفرق بين كتب الجغرافية اللغوية والوصفية في وجه من الوجوه.

ولعل ياقوتا - تبعاً لذلك - كان يذكر البيت من الأبيات، فيه ذكرٌ للأماكن فيستحسن ما معه من أبيات، فيسترسل في ذكرها من باب إمتاع القارئ وإطلاعه على ما استجاده هو وأعجبه^(١٨).

واستطاع ياقوت بما حشد في معجمه من أشعار متنوعة الأغراض والمقاصد والدلالات، أن يكسب كتابه قيمة شعرية حقيقية، لاحتوائه على هذه المجموعة النادرة التي لا تُرى في مرجع آخر، ولأنه حفظ بذلك جملة صالحة من الأبيات المفردات، لم تصل إلينا أشعار أصحابها من مصدر آخر، وأشعاراً كثيرة لم تَرَدِّ في دواوين أصحابها^(١٩).

وتبياً لياقوت أن يجمع أشعار معجمه من دواوين الشعراء أولاً، وبما سمعه من إنشاد الشعراء، ورواه عنهم وعن اللغويين والرواة^(٢٠). فمن الأول قوله: «وقرأت في ديوان أبي القاسم الحسن بن علي بن بشر الكاتب أنه قال في سنة ٣٥٥ (٢١)». ومن الثاني ما أورده في مادة قمرأو^(٢٢) من قوله: «قرية من نواحي حوران، منها الفقيه موسى القمراوي، فقيه أديب مناظر

(١٧) وفي مقابل ذلك عاب صاحب «مراسد الاطلاع» على أساء الأمكنة والبقاع، على ياقوت - فيما عابه به - تزيده فيما لا يتصل بمعرفة أساء الأماكن والبقاع، فحذف من المراسد أشعار معجم البلدان جميعاً لم يترك منها بيتاً واحداً واختصره في ثلث صحائفه. انظر مقدمة معجم ما استعجم الصفحة هـ، ومقدمة المراسد: الصفحة ز.

(١٨) مثاله البيت الذي أورده من شعر ابن زيدون، ما قافيته المشهورة، وذكر فيه مدينة الزهراء، والأبيات التي أتبعها ذلك البيت، انظر معجم البلدان ٣ : ١٦١.

(١٩) من أمثلة الأبيات المفردات أبيات كثيرة للمقلّين من الشعراء بخاصة، ومن أمثلة المقطعات والقصائد الأبيات التي أوردها ليزيد بن مفرغ الضبي (الزّاب ٣ : ١٢٤) مقارنة بما ورد في ديوانه ص ٨١، وقصيدة شاعر همدان أحمد بن بشار في ذمها (٥ : ٤١٥) التي لم أجدها بتمامها في مرجع آخر رجعت إليه.

(٢٠) انظر معجم البلدان ١ : ١٢.

(٢١) معجم البلدان: قويق ٤ : ٤١٧.

(٢٢) معجم البلدان ٤ : ٣٩٦.

حاذق رأيته بحلب وأنشدني لنفسه». ومن الثالث ما جاء في كلامه عمّن خرج من سوسة: «وصديقنا الأديب أبو الحسن علي بن عبد الجبار بن الزيات المنشئ، مليح الكلام في النظم والنثر، قدم الشرق وأقام بدمشق مدة، ثم قدم الموصل وأقام بها بالمدرسة ينسخ. وهو كئس لطيف حافظ للأخبار والأشعار، سلس اللسان، أنشدني لنفسه وكتب لي بخطه^(٢٣)»، وما جاء في قوله: «وقال أبو العلاء السروي يصف طبرستان، فيما كتبنا عن أبي منصور النيسابوري^(٢٤)».

أمّا المنهاج الذي اتخذته ياقوت للاستشهاد بالشعر فيمكن - باستقراء الشواهد الشعرية - إبرازه بما يلي:

(أ) الاستشهاد بالشعر من الناحية الجغرافية لإثبات ورود المكان في شعر العرب. وغالبا ما يكون الاستشهاد بأشعار القدماء كما تقدم. ومن أمثلة ذلك قوله في الأكاحل: «جمع كحل، موضع في بلاد مزينة. قال معن بن أوس المزني:

أعاذل من يحتل فيفا وفيحة وثوراً ومن يحمي الأكاحل بعدنا^(٢٥)»
وقوله أيضا في الذنائب: «وفي شرح قول كثير:

أمن آل سلمى دمنة بالذنائب إلى الميث من ريعان ذات المطارب
الذنائب في أرض بني البكاء على طريق البصرة إلى مكة. والمطارب: الطرق الصغار^(٢٦)»
وقوله في النّسار: «قال أبو عبيدة: النّسار أجيال متجاورة يقال لها الأنسر وهي النّسار، وكانت به وقعة، قال النّظار الأسدي:

ويوم النّسار ويوم النّضا ر كانوا لنا مقتوي المقتونينا^(٢٧)»

(٢٣) معجم البلدان ٣ : ٢٨٢.

(٢٤) معجم البلدان: طبرستان ٤ : ١٤.

(٢٥) معجم البلدان ١ : ٢٣٩.

(٢٦) معجم البلدان ٣ : ٧.

(٢٧) معجم البلدان ٥ : ٢٨٣.

(ب) إيراد الأحداث والدلالات التاريخية المتصلة بالشواهد الشعرية إذا اقتضى السياق ذلك، أو إيراد الشواهد في سياق تلك الأحداث. فمن الأول قوله: «ولما قدم رسول الله ﷺ المدينة هو وأبو بكر وبلال، فكان أبو بكر إذا أخذته الحمى يقول:

كل امرئ مصبَح في أهله والموت أدنى من شراك نعله
وكان بلال إذا انقضت عنه رفع عقيرته وقال:

ألا ليت شعري هل أبيتَ ليلةً بفتحٍ وعندي إذخِرٌ وجليلُ
وهل أَرَدَنَ يوماً مِياهَ مجنةٍ وهل يَبْدُونُ لي شامةً وطفيلُ
اللهم ألْعَنُ شِيبَةَ بن ربيعة وعَتَبَةَ بن ربيعة وأمِية بن خلف كما أخرجونا من مكة (٢٨).
ومنه أيضاً: «قال أبو عبيدة في قول البعيث:

ونحن منعنا يوم عينين منقرا ولم ننبُ في يومَي جدود عن الأسل

قال: أما يوم عينين بالبحرين فكانت بنو منقر بن عبيدالله بن الحارث - والحارث هو مقاعس بن عمرو بن كعب بن سعد - خرجوا ممتارين، فعرضت لهم بنو عبدالقيس، فاستعانوا بني مجاشع فحموهم حتى استنقذوهم (٢٩). ومن الثاني ما ساقه من قصة الملك المنذر بن امرئ القيس بن ماء السماء وقَتله عبيداً بن الأبرص في يوم البؤس، وما تحلَّل ذلك من شعر عبيد، وقصة الملك أيضاً مع رجل يقال له حنظلة وما فيها من شعر (٣٠).

(ج) شرح ما يلزم من الشاهد شرحاً لغوياً يساعد على الفهم. من ذلك ما أتبع به الشاهد السابق:

ويوم النصار ويوم النضار ركانوا لنا مقتوي المقتوينا
من قوله: المقتوي: الخادم، كأنه يقول إنهم صاروا خدام خدمنا. وقيل: القاوي: الأخذ

(٢٨) معجم البلدان: مكة ٥ : ١٨٣، وانظر أيضاً الصفحات التالية ثم.

(٢٩) معجم البلدان: عينين ٤ : ١٨٠.

(٣٠) انظر معجم البلدان: غريان ٤ : ١٩٨ وما بعدها.

يقال: قاوِه أي أعطِه نصيبه^(٣١). ويتصل بالبيان اللغوي ما وراء الشاهد من مثل أو قصة تعين على تمثله كقوله في الأشافي: «قال الأعشى:

أمن جبل الأمرار صُرّت خيامكم على نبلٍ أن الأشافي سائلُ

هذا مثلاً ضربه الأعشى لأن أهل جبل الأمرار لا يرحلون إلى الأشافي ينتجعونه لبعده، إلا أن يجذبوا كل الجذب ويبلغهم أنه مُطر وسال^(٣٢).

(د) ذكر شواهد نحوية من غير إرادة الاستشهاد، أو ذكر قضية لغوية أو نحوية ومناقشتها والاستشهاد لها. فمن الأول قول الأخطل من قصيدة يفتخر فيها بقومه ويهجو جريراً:

أبني كليبٍ إنَّ عَمِيَّ اللَّذَا قَتَلَا الملوكة وفككا الأغلالا^(٣٣)

وقول الملك النعمان بن المنذر يخاطب الربيع بن زياد العبسي في جملة أبيات:

قد قيل ما قيل إن صدقاً وإن كذباً فما اعتذارك من قولٍ إذا قيلاً^(٣٤)

ومن الثاني قول ياقوت: «جاءت الشام في شعر قديم ممدودة. قال زامل بن غفير الطائي مدح الحارث الأكبر:

وتأبى بالشَّام مفيدِي حشراتٍ يقددون قلبي قدّاً^(٣٥)

وقوله: «حُكِمَ قَالِقِلا حُكْمَ معد يكرب، إلا أن قَالِقِلا غير منون على كل حال إلا أن تجعل قالي مضافاً إلى قلا، وتجعل قلا اسم موضع مذكر فتنوّنه فتقول: هذا قَالِقِلا فاعلم!.

(٣١) معجم البلدان، النصار: ٥ : ٢٨٣. وانظر أيضاً: النيل: ٥ : ٣٣٧ وأيلة: ١ : ٢٩٢ على سبيل المثال.

(٣٢) معجم البلدان ١ : ١٩٤.

(٣٣) معجم البلدان ٤ : ٤٧٣. والشاهد فيه حذف النون من «اللذان» تخفيفاً لطول الاسم بالصلة. انظر الكتاب ١ : ١٨٦، والهمع ١ : ١٦٧.

(٣٤) معجم البلدان ١ : ٣٨٦. وشاهده حذف كان واسمها وبقاء خبرها، والأصل: إن كان المقول صدقاً وإن كان المقول كذباً، انظر الكتاب ١ : ٢٦٠.

(٣٥) معجم البلدان، الشام: ٣ : ٣١١.

والأكثر ترك التنوين، قال الشاعر:

سيصبح فوقي أقيم الريش كاسراً بقاليقلا أو من وراء ديبيل (٣٦)

وقوله في حديث طويل: «وقال أبو الحسين بن فارس: سئل أبو حنيفة عن رجل ضرب رجلاً بحجر فقتله، هل يُقاد به؟. فقال: لا ولو ضربه بأبا قبيس!». قال: فزعم ناس أن أبا حنيفة رضي الله عنه لحن. قال ابن فارس: وليس هذا بلحن عندنا، لأن هذا الاسم تُجرى به العرب مرة بالأعراب فيقولون: جاءني أبو فلان ومررت بأبي فلان ورأيت أبا فلان، ومرة يخرجونه مخرج قفاً وعصاً ويروونه اسماً مقصوراً فيقولون: جاءني أبا فلان، ورأيت أبا فلان، ومررت بأبا فلان. ويقولون: هذه يداً، ورأيت يداً، ومررت بيدياً، على هذا المذهب. وأنشدني أبي رحمه الله يقول:

يا رَبِّ سارِ بات ما توسداً الأ ذراع العيس أو كف اليد

قال: وأنشدني علي بن القطان قال: أنشدنا أحمد بن يحيى ثعلب، أنشدنا الزبير بن أبي بكر، قال: أنشد بعض الأعراب يقول:

ألا بأبا ليلى على الناي والعدى وما كان منها من نوالٍ وإن قلّا

هذا آخره كلامه. ويمكن أن يقال إن هذه اللغة محمولة على الأصل، لأن أبواً أصله أبو، كما أن عصاً وقفاً أصله عَصَوٌ وَقَفَوٌ. فلما تحركت الواو وانفتح ما قبلها قلبوها ألفاً بعد إسكانها إضعافاً لها، وأنشدوا على هذه اللغة:

إنَّ أباهما وأبا أباهما قد بَلَّغنا في المجد غايتاهما
وقالت امرأة ولها ولدان:

وقد زعموا أني جزعتُ عليهما وهل جزعُ إن قلتُ: وأبأباهما
هما أخوا في الحرب من لا أخا له إذا خاف يوماً نبوءة فدعاهما

فهذا احتجاج لأبي حنيفة إن كان قصد هذه اللغة الشاذة الغربية المجهولة والله أعلم^(٣٧).

وإني ذاكر مجموعة من الملاحظ تكررت في مواطن عدّة من مواطن الاستشهاد بالشعر في المعجم، إذا نظر فيها الناظر لم تكدرؤيتها تفوته. وقد ألمحت - فيما تقدم من الكلام على الشعراء - الى بعض هذه الملاحظ لعدم إمكان الفصل بين الحديث عن الشعراء والحديث عن الشعر فصلاً حاسماً. فمن ذلك:

(أ) نسبة الشعر إلى غير قائله، لتصحيف في الاسم من طريق النسخ أو الوهم، أو لخلط بين الشاعر وأحد أصوله أو فروع، وهو أمر لم يتكرر كثيراً. فمن تصحيف اسم الشاعر وتحريفه ما جاء في نسبة الأبيات الثلاثة التي أولها^(٣٨):

بَسْمَنَانٌ بَوُلُ الجُوعِ مُسْتَنْقِعاً بِهِ قَدْ أَصْفَرَ مِنْ طُولِ الْإِقَامَةِ حَائِلُهُ

إلى يزيد بن ضابء، ونسبة اثنين منها في مكان آخر^(٣٩) الى أريد بن ضابء الكلابي. والصحيح الثاني^(٤٠).

ومن التصحيف أيضاً نسبة الشعر الذي أوله^(٤١):

وَكُنْتُ إِذَا مَا بَابُ مَلِكٍ قَرَعْتُهُ قَرَعْتُ بِأَبَاءِ أُولِي شَرَفٍ ضَخْمٍ

إلى الأحوص زيد بن عمرو بن قيس. وهو خطأ صوابه الأحوص المتوفى نحو سنة ٥٠هـ^(٤٢). وهو غير الأحوص عبدالله بن محمد الشاعر الأموي عصريّ جرير والفرزدق المتوفى سنة ١٠٥هـ.

(٣٧) معجم البلدان: أبو قبيس ١ : ٨١.

(٣٨) معجم البلدان: سمنان ٣ : ٢٥١.

(٣٩) معجم البلدان: برقة سمنان ١ : ٣٩٥.

(٤٠) انظر المؤتلف والمختلف ص ٢٨. وفيه ذكر الأمدي الشعر منسوباً إلى أريد.

(٤١) معجم البلدان: طخفة ٤ : ٢٣. ورواية البيت فيه: إذا ما مات ملك، وفيه تحريف.

(٤٢) انظر الاعلام ٣ : ٦٠.

ومن الخلط في اسم الشاعر نسبة الشعر الذي أوله:

لا تهلكن جزعاً في إثر من ماتا فإنه لا يرد الدهر ما فاتا
إلى ذي جدن الحميري مرة، وإلى علقمة بن شراحيل الحميري مرة^(٤٣).

(ب) اتفاق رواية الشعر في المعجم وروايته في ديوان صاحبه حيناً، واختلاف الروايتين حيناً آخر^(٤٤). فمن أمثلة اتفاق الروايتين اتفاقاً حرفياً قول البحرني^(٤٥):

سيوف لها في عمر كل عدى ردى وخيل لها في دار كل عدى نهب
علت فوق بغراس فضافت بما جنت صدور رجال حين ضاق بها الدرب
ومن اختلافها قول الأعشى^(٤٦):

من النعم التي كجراج أيل تحش الأرض شيئاً أو هجاناً

كذا جاء في الديوان، وفي المعجم: كخراج أبل! ولعل مرد الاختلاف بعامة هو التصحيف في الغالب. وإن صحت الروايتان فلم تكن رواية ياقوت هي رواية الديوان الأصلية دائماً.

(ج) الاستشهاد بالشعر نفسه في أكثر من موضع إذا كان هذا الشعر يحمل اسم أكثر من مكان واحد. من ذلك مثلاً الاستشهاد بهذين البيتين في «التسريح» وفي «الجنية»^(٤٧) مع اختلاف بسيط في الرواية:

إذا يقولون ما يشفيك قلت لهم دخان رمث من التسريح يشفيني
تأ يضم إلى عمران حاطبه من الجنية جزلاً غير موزون

(٤٣) انظر معجم البلدان: بينون ١ : ٥٣٥، وسلمحين ٣ : ٢٣٥، وانظر بعد ذلك الأنساب ص ٤٣٦.

(٤٤) وقفت على ذلك في عملي في إنشاء مجمع أشعار المعجم. وكنت أثبت رواية المعجم ما لم تُحل بالمعنى، ورواية الديوان إن كانت أصح للمعنى وأقوم.

(٤٥) معجم البلدان: بغراس ١ : ٤٦٧، وديوان البحرني ١ : ١٢٤.

(٤٦) معجم البلدان: رداع ٣ : ٣٩، وديوان الأعشى ص ٢٢١.

(٤٧) انظر معجم البلدان ٢ : ٣١، ٢ : ١٧٣.

والاستشهاد بيت امرئ القيس في بلطة ومسطح^(٤٨):

ألا إنَّ في الشَّعْبين شَعْبٌ بِمِسطَحٍ وشَعْبٌ لَنَا في بطن بلطَة زَيْمِرا

(د) تغيير بعض الألفاظ المكانية في الشعر بما يتلاءم ومقام الاستشهاد بها، فإنه يُستشهد ببيت من الشعر واحد على أكثر من موضع، باستبدال اسم الموضع في الشعر المستشهد به، مرة واثنين وثلاثاً وأكثر. وهذه مسألة تكررت كثيراً في المعجم، مثال ذلك ما جاء من الاستشهاد ببيت الراعي في كيبس:

جعلن حَيّاً باليمين ووركت كيبساً لماءٍ من ضئيدة باكر
والاستشهاد به في كيبش^(٤٩):

جعلن حَيّاً باليمين ونكبت كيبشاً لورِدٍ من ضئيدة باكر

وتتفق رواية الشعر في ديوان صاحبه - من حيث ذكر المكان - مع واحدة من الروايات وتخالف الروايات الأخرى^(٥٠). وقد يجمع بيت ساعدة بن جؤية الهذلي:

وما ضَرَبَ بيضاء تسقي دبورها دفاقُ فعروان الكراث فَضِيمُها

ما جاء في الفقرتين السابقتين (من الاستشهاد بالبيت في غير موضع لوجود أكثر من اسم مكان فيه، وتغيير اسم المكان ليصلح شاهداً على المكانين) فقد استشهد ياقوت ببيت ساعدة في خمسة مواضع^(٥١).

(هـ) الاستشهاد بالشعر على مواضع وأماكن عرفت عند الشعراء في أرجاء العالم الإسلامي على امتداده واختلاف اصقاعه وترامي أطرافه. أمّا ما ورد في المعجم من مواطن خارجة عن حدود ديار الإسلام فلم يقتزن ذكرها بالاستشهاد بالشعر بطبيعة الحال. وبدهي أن

(٤٨) معجم البلدان ١ : ٤٨٥ ، ٥ : ١٢٦ .

(٤٩) معجم البلدان ٤ : ٤٣٥ في الموضعين . ثم استشهد به في موضع ثالث في سياق ضئيدة ٣ : ٤٦٥ . وانظر أمثلة آخر في الاستشهاد ببيت جعفر بن عتبة الحارثي في حدود ٢ : ١١٤ وخدوراء ٢ : ٣٤٩ ، وبيت الأنوف الأودي في برقة ضاحك ١ : ٣٩٦ ، وبرقة واكف ١ : ٣٩٩ ، وبيت ابن مقل في أسن ١ : ١٩٠ وسرج ٣ : ٢٠٧ وسرع ٣ : ٢١١ .

(٥٠) جاءت رواية الديوان (ص ١٣٦) بذكر كيبس .

(٥١) انظر معجم البلدان : عروان وعُروان ٤ : ١١٢ والكراث ٤ : ٤٤٣ ، ودبوب ٢ : ٤٣٧ ، ودفاق ٢ : ٤٥٨ .

الجزيرة العربية وبلاد الشام وخراسان وما وراء النهر من مشرق العالم الإسلامي - وهي مواطن النشاط الثقافي والشعري على توالي القرون الهجرية الخمسة الأولى، وما قبلها من عصور الشعر الجاهلي - نالت من الاستشهاد بالشعر أكبر نصيب.

(و) اطالة الاستشهاد في بعض المواضع حتى يتجاوز مئة بيت، فيستغرق قصيدة كاملة أو يكاد^(٥٢)، والاقتصار فيه في مواضع كثيرة على الحد الأدنى وهو بيت واحد.

لم تكن دلالة المكان المجردة هي غرض ياقوت من الاستشهاد بالشعر في معجمه الكبير بل إن صنوف الأشعار التي استشهد بها وكثرتها واختلافها وتنوعها، تومئ إلى أغراض أبعد من ذلك الغرض، ولو أن كثيراً من هذه الأغراض تدور حول الغرض الأصلي وتشتق منه. ولكل من هذه الصنوف والأنواع دلالات مختلفة ومرامٍ محدّدة، يتنقل القارئ بينها ويقطف ثمراتها، فيخرجه ذلك من النطاق الضيق المتمثل في قراءة كتاب بلداني جغرافي إلى نطاق أكثر اتساعاً وشمولاً فيه تنوع الثقافة الشعرية وأغراضها ومرامها. والمتلمس لهذه الدلالات المختلفة يستشعر لها جماليات خاصة، أضفت على الاستشهاد بالشعر روحاً إيجابياً للمعجم، وأمدته بدفقات حيّة من المشاعر الفياضة.

وقد رأيت - عند النظر في أشعار المعجم جميعها وتبويبها وتحصيلها - أن دلالات هذه الأشعار وجمالياتها المنبثقة منها، يمكن أن تصنّف في:

- جماليات المكان خاصة وما يتصل به ويتفرع عنه.
- جماليات شعر الغزل بما يحمله من عذوبة ويثيره من مشاعر، وما يتصل به من وصف الشراب والساقى والمنتدى.
- المجون والأحماض التي لا يخلو منها مرجع قديم من كتب الشعر والنثر.
- جماليات الرثاء بما يثير من أشجان، وما يهز من مشاعر، وما يحمل من معنى الوفاء.
- جماليات السرد الأدبي بما فيه من طرائف شعرية ومضات معرفية تدل على سمو في التذوق وارتقاء في الشعور.
- جماليات القصص التاريخي وارتباطه الوثيق بشعر الأيام والوقائع، وتعبيره عن الصلة الوثقى

(٥٢) استشهد بقصيدة كاملة للصنوبري وأبياتها مئة وأربعة (حلب ٢ : ٢٨٦، وديوان الصنوبري ص ٥٠٤) وبأكثر قصيدة البحري السنية فذكر من جملة أبياتها الستة والخمسين، ستة وأربعين (الإيوان ١ : ٢٩٥، وديوان البحري ١١٥٢ : ٢).

بين الأدب والتاريخ .

١ - ارتبط كثير من أشعار المعجم ارتباطاً مباشراً بذكر الأماكن والبلدان والمواقع . وهذا الارتباط هو الأساس الذي بني عليه الاستشهاد بالشعر في المعجم ، يُجاء به فيه للاستدلال على ضبط الاسم وصحة النطق به ، كقوله في إضان : «ورواه أبو عمرو: إطان بالطاء المهملة ، وأنشد على اللغتين والروايتين قول ابن مقبل :

تَبَصَّرْ خَلِيلِي هَل تَرَى مِنْ ظَعَائِنٍ تَحْمَلْنَ بِالْعِلْيَاءِ فَوْقَ إِضَانَ^(٥٣)
أو يُجَاء به لأثبت ورود الاسم في أشعارهم ، مثل ما جاء في أسقف : «موضع بالبادية كان به يوم من أيامهم ، قال عنترة :

فَإِنْ يَكُ عَزْ فِي قِضَاعَةٍ ثَابِتٌ فَإِنَّ لَنَا بِرَحْرَحَانَ وَأَسْقِفِ
أَي لَنَا فِي هَذَيْنِ الْمَوْضِعَيْنِ مَجْدٌ^(٥٤) .

لكن هذه الغاية الأساسية للاستشهاد بالشعر ، تفرّع عنها غايات عدة متصلة بها بصورة أو بأخرى ، فلم تقتصر دلالة المكان على ضبط الاسم وتداوله على ألسنة الشعراء بل تجاوزت هذا المفهوم الضيق إلى آفاق شملت غايات أخرى كثيرة منها :

(أ) الوصف ، سواء منه وصف الأماكن العامرة أو الدائرة . فمن الأول وصف المأجل - وهو بركة عظيمة كانت بباب القيروان - بشعرٍ للشريف الزيدي أبي الحسن علي بن إسماعيل :

يَا حُسْنَ مَا جَلْنَا وَخَضِرَ مَائِهِ وَالنَّهْرُ يُفْرَغُ فِيهِ مَاءٌ مُزْبِداً
كَالْزُلْزُلِ الْمُنْثُورِ إِلَّا أَنَّهُ لَمَّا اسْتَقَرَّ بِهِ اسْتَحَالَ زُبْرُجِداً
وَإِذَا الشِّبَاكَ سَطَطَتْ عَلَى أَمْوَاجِهِ نَشَرَتْ حُجَاباً فَوْقَهُنَّ مَنْضِداً
وَكَأَنَّمَا الْفَلَكَ الْأَثِيرُ أَدَارَهُ فَلَمَّا وَضَمَّنَهُ النُّجُومُ الْوُقُودَا^(٥٥)

(٥٣) معجم البلدان ١ : ٢١٤ وروي هنا بالضاد ، وفي إطان (١ : ٢١٥) بالطاء . وورد في لسان العرب بالضاد والطاء والظاء (أضن ، وأطن ، وأظن) ورواية ديوان ابن مقبل (ص ٣٣٨) بالطاء .

(٥٤) معجم البلدان ١ : ١٨١ .

(٥٥) معجم البلدان ٥ : ٣٢ . ومن ذلك أيضاً قصيدة طويلة لإسحاق الموصلي يمدح فيها الواثق ويذكر النجف مطلعها : (٢٧١ : ٥)

يَا رَاكِبَ الْعَيْسِ لَا تَفْجَلْ بِنَا وَقِفْ نُحْيِي دَاراً لِسُعْدَى ثُمَّ نَنْصَرِفْ

ومن الثاني ما جاء في وصف البحري إيوان كسرى هذا الوصف الحيّ في قصيدته السّينية المعروفة، وقد أتى ياقوت على أكثر أبيات القصيدة^(٥٦). وفيها ما ينبىء عن عظمة بانيه وعجائبيهم، وعن هجر أهله والوحشة التي خلّفوه فيها. وفيها بعد ذلك صورة دقيقة لكسرى يزجي الصفوف ويقود العراك مع قيصر الروم، وصورة حيّة للمعركة والتحام المقاتلين. وهي قصيدة لا يجزىء ذكر بعض أبياتها عن قراءتها واستجلاء صورها واستخراج دررها ولأليها.

(ب) الوقوف على الأطلال والدمن وما يجره ذلك من العظة والاعتبار بدروس الديار وزوال أهلها. فقد وقف ياقوت مع كثير على أطلال المآتب وذكر شعره الذي يقول فيه:

أمن آل سلمى دمنّة بالذنائب	إلى الميث من ريعان ذات المطارب
يلوح بأطراف الأجدة رُسْمُها	بذي سَلَمٍ أطلأها كالمذاهب
أقامت به حتى إذا وَقَدَ الحصى	وقمّص صيداً الحصى بالجنادب
وهبت رياح الصيف يومين بالسفا	بليّة باقي قَرْمَلٍ بالمآتب ^(٥٧)

وقرأنا مع ياقوت أبياتا على بقايا حائط من حيطان المختار وبزكوار، وهما قصران من أبنية الخليفة المتوكل هذه صورتها:

هذي ديار ملوك دبّروا زمناً	أمر البلاد وكانوا سادة العرب
عصى الزمان عليهم بعد طاعته	فانظر إلى فعله بالجوسق الحرب
وبزكوار وبالمختار قد خلتا	من ذلك العزّ والسلطان والرُّتب ^(٥٨)

(ج) الحنين إلى الديار والشوق إلى أهلها. وقد اتخذ صوراً عدّة في ديوان ياقوت، منها:

- مناجاة النفس والوطن في شعر وجداني صافٍ، في قول أعرابية تشوق إلى عقيق المدينة وقد زوّجت ومُحلت إلى نجد:

إذا الريح من نحو العقيق تنسّمت	تجدّد لي شوق يضاعف من وجدي
إذا رحلوا بي نحو نجد وأهله	فحسبي من الدنيا رجوعي الى نجد ^(٥٩)

(٥٦) معجم البلدان، الايوان: ٣٩٥-٣٩٦.

(٥٧) معجم البلدان ٥: ٣١، وانظر أيضا أبياتا لمضرر الأسدي في لينة ٥: ٢٩.

(٥٨) معجم البلدان، المختار ٥: ٧١. وانظر كذلك: مارب ٥: ٣٧-٣٨.

(٥٩) معجم البلدان، العقيق ٤: ١٤١.

وقول يحيى بن طالب الحنفي يتشوق إلى قرقرى، أرضٍ باليمامة:

أحقاً عباد الله أن لست ناظراً
كأن فؤادي كلما مرّ راكباً
أقول لموسى والدموع كأنها
الا هل لشيخٍ وابن ستين حجةً
إلى قرقرى يوماً وأعلامها العُبر
جناحُ غرابٍ رام نهضاً إلى وكُر
جداولُ فاضت من جوانبها تجري:
بكى طرباً نحو اليمامة، من عُذر؟ (٦٠)

وفي هذه الأبيات ما فيها من التعبير عن الأسى العميق للبعد عن الديار، وتصوير نفسي صادق لغريب يحمله التظني على تصور العودة واكتحال العين برؤية الدار، وإظهار لمشاعر الحزن ولواعج الحنين. ومن هذا الباب الحنين إلى أماكن اللهو والتنزه، وما يثيره ذلك في النفس من تذكر الديار والأوطان وأهلها (٦١).

- نوح الحمائم الذي يؤجج في النفس نيران الشوق ويهيج فيها الحنين:

أقمريّة الوادي التي خان إلْفها
تعالني أطارحك البكاء فلننا
من الدهر أحداثٌ أتت وخطوب
كلانا بمرّو الشاهجان غريب (٦٢)

ونقع في هذا الباب على قطعة نادرة هي نسيجٌ وحدها فيه، التقط الشاعر فكرتها فرسمها بريشة رسّام مفنّ. فقد مرّ بباب الطاق - وهي محلة كبيرة بالجانب الشرقي ببغداد - فرأى قمرية تنوح، فأمر بشرائها وإطلاقها وأنشأ يقول:

ناحت مطوقةً بباب الطاق
كانت تغرّد بالأراك وربما
فرمى الفراق بها العراق فأصبحت
فجعت بأفْرِخِها فأسبل دمعها
فجرت سوابقُ دمعِي المَهراق
كانت تغرّد في فروع الساق
بعد الأراك تنوح في الأسواق
إن الدموع تبوح بالمشاق
وسقاه من سمّ الأسود ساق
تعيّسَ الفراق وبُتَّ جبلٌ وتينه

(٦٠) معجم البلدان ٤ : ٣٢٦. وانظر أيضاً قول أبي الفتح المانداني في واسط ٥ : ٣٥١، والمراد الفقعمسي في علوي نجد ٤ : ١٤٧، وبعض الأعراب في المأزمن ٥ : ٤٠، وما قيل في الحنين إلى نجد وترايه وصباه ٥ : ٢٦٢ وما بعدها.

(٦١) انظر مثلاً معجم البلدان، دير اللج ٢ : ٥٣٠.

(٦٢) معجم البلدان، مرو الشاهجان ٥ : ١١٤، وانظر كذلك اللرى ٥ : ٢٣.

ماذا أراد بقَصْده قمريةً لم تَدُر ما بغداد في الآفاق
بي مثلُ ما بك يا حمامة فاسألي من فك أسرك أن يحل وثاقي^(٦٣)
فلعل هذه المقطعة من أرق الشعر الوجداني الذي يعبر عن المشاعر الإنسانية التي تفيض
رقةً وعذوبةً.

- الدعاء بالسقيا للديار، وما يحمل ذلك من حب الخير لها ولأهلها، ومن معاني النضارة
والنماء والازدهار، يقول عيسى بن سعدان:

ويا قرى الشام من ليلون لابتخلت على بلادكم هطالة السحب
ما مرّ برقك مجتازاً على بصري إلا وذكرني الدارين من حلب^(٦٤)
ويقول شاعر من همدان:

سقى الله أرونداً وروض شعابه ومن حله من ظاعين ومقيم
وأيامنا إذ نحن في الدار جيرةً وإذ دهرنا بالوصل غير ذميم^(٦٥)

(د) ذكر الوقائع والحروب والأيام، لأن من مستلزمات ذكر المكان في الشعر ذكر ما يتصل
به من الأحداث الجارية فيه. ولما كان الشعر تسجيلاً للأحداث، على عاداتهم في تسجيل وقائع
حروبهم والإشادة بانتصاراتهم، كان الإتيان بشعر الأيام والوقائع في شعر البلدان أمراً وارداً.
فمما جاء في ذلك قول زيد الخيل الطائي:

نحن صَبَحْنَاهُمْ غداةً محجّر بالخييل محقبةً على الأبدان
نزجي المطي منعلًا أخفافها والجرد مرسله بلا أرسان
حتى وقعنا في سليم وقعةً في شر ما يُخشى من الحدثان
فاسأل غراب بني فزارة عنهم واسأل بنا الأحلاف من غطفان
واسأل غنيًا يوم نَعْف محجّر واسأل كلاباً عن بني نهبان

(٦٣) معجم البلدان، باب الطاق ١ : ٣٠٨.

(٦٤) معجم البلدان، ليلون ٥ : ٢٩.

(٦٥) معجم البلدان، أروند ١ : ١٦٣. وانظر كذلك شعر الأبيوردي في ماوشان ٥ : ٤٧، وابن الساعاتي في المحلة
٦٤ : ٥.

نرمي بهن بغمرة مكروهة حتى يغبن بنا إلى الأذقان^(٦٦)
وقول القعقاع بن عمرو:

جدعتُ على الماهات أنفَ فارس بكل فتى من صلب فارس خادر
هتكتُ بيوت الفرس يوم لقيتها وما كلُّ من يلقي الحروبَ بثائر^(٦٧)

(هـ) مدح الأماكن وذمها. ويتضمن كلُّ من المدح والذم ذكر البلد: محاسنه ومساوئه، وذكر أهله بالثناء عليهم أو انتقاصهم بأخلاقهم وعاداتهم. فمن الأول قول عمارة بن عقيل بمدح بغداد:

أعانيت في طولٍ من الأرض أو عرض كبغداد من دارٍ بها مسكن الخفض
صفا العيش في بغداد واخضر عوده وعيشٌ سواها غير خفض ولا غص
تنام بها عين الغريب ولا ترى غريبا بأرض الشام يطمع في الغمض^(٦٨)

ومن الثاني قول ذي الرمة وقد نزل على امرأة (قرية بني امرئ القيس) فلم يستقبله أهلها ولم يقرّوه فذمهم:

فلما وردنا امرأة اللؤم غلقت دساكر لم تفتح لخير ضلالها
وقد سُميت باسم امرئ القيس قرية كرام غوانيتها لثام رجائها
تظلل الكرام المُرملون بجوها سواء عليهم حملها وحيالها^(٦٩)

٢- الغزل لون من ألوان الشعر الذي ضمّه ديوان ياقوت. فهو لا يكاد يستجيد مقطوعة في الغزل إلا ذكرها مبتغياً الى ذلك وسيلة. ففي ذكر نجد يذكر شعراً لأعرابي يحن إليها ويتغزل بمن يحب فيها:

(٦٦) معجم البلدان، مجر ٥ : ٦٠.

(٦٧) معجم البلدان، ماهان ٥ : ٤٨. وانظر أيضا قول ابن أبي سنة يرثي بني أمية، اللّبتان ٥ : ٣، وقول نعيم بن الحباب السلمي، لبأ ٥ : ٩.

(٦٨) معجم البلدان ١ : ٤٦٠.

(٦٩) معجم البلدان ٥ : ٩٦، وانظر قول أبي محمد الزبيدي في مدح صنعاء وتفضيلها على غيرها ٣ : ٤٢٦، وقول زياد بن منقذ العلوي وقد نزل بها فاستوبأها ٣ : ٤٢٧. وانظر كذلك شعراً للمنتبي بمدح فيه مكاناً ويذم أهله : اللكام ٥ : ٢٢.

ومن فَرَطَ إشفَاقِي عليك يَسْرَنِي سُلُوكُ عَنِّي خَوْفٌ أَن تَجْدِي وَجْدِي!
وَأُشْفِقُ مِنْ طَيْفِ الْخِيَالِ إِذَا سَرَى مَخَافَةٌ أَن يَدْرِي بِهِ سَاكِنُو نَجْدِ
وَأَرْضِي بِأَن تَفْدِيكَ نَفْسِي مِنَ الرَّدَى وَلَكِنِّي أَخْشَى بِكَاءِكَ مِنْ بَعْدِي
مَذَاهِبَ شَتَّى لِلْمُحِبِّينَ فِي الْهَوَى وَلِي مَذْهَبٌ فِيهِمْ أَقُولُ بِهِ وَحْدِي^(٧٠)

ويتصل بالغزل التغزل بالساقى والساقية في شعر الأديرة. فشعر الأديرة فيه الغزل وفيه وصف الشراب ومجالسه، وفيه وصف الطبيعة الحية الساكنة والمتحركة، ومنه قول أبي اللقاء:

جَنَّةٌ لُقِّبَتْ بِدَيْرٍ صَلِيبَا مَبْدَعاً حَسَنَهُ كَمَالاً وَطَيْبَا
شَجَرٌ مَحْدَقٌ بِهِ وَمِيَاهُ جَارِيَاتُ وَالرَّوْضِ يَبْدُو ضَرْوَبَا
مِنْ بَدِيعِ الْأَلْوَانِ يَضْحِي بِهِ الشَا كُلُّ مَمَايِرِي لَدَيْهِ طَرْوَبَا
كَمْ رَأَيْنَا بِدَرّاً بِهِ فَوْقَ غَصْنٍ مَائِسٌ قَدْ عَلَا بِشَكْلِ كَثِيبَا
وَشَرِبْنَا بِهِ الْحَيَاةَ مُدَاماً تَطْلُعُ الشَّمْسُ فِي الْكَوْؤُسِ غَرْوَبَا
فَكَأَنَّ الظَّلَامَ فِيهَا نَهَارٌ لَسْنَاهَا تَسْرُّ مِنَّا الْقُلُوبَا^(٧١)

٣- أما شعر المجون فقد وقع القليل منه في أشعار ياقوت، جاء عَرَضاً في الهجاء المقذع أو الغزل المكشوف. فمن هذا الباب ما هجا به حارثة بن بدر الغداني أصحابه وقد خذلوه عند لقاء الأزارقة، وما هجا به سويد بن أبي كاهل بني عُبر، ثم طلب عونهم في فكاهه من أسرى وقع فيه، فقالوا: ضَيِّعَتِ الْبِكَارُ عَلَى طَحَالٍ، فذهب مثلاً^(٧٢)، وما هَجَّتْ بِهِ سَلْمَى بِنْتُ كَعْبِ أَوْسَ بْنِ حَجْرٍ، وما ارتجز به اعرابي شاهداً على جودة زيت بعلبك ولبنها!! وما جاء في ذكر ما كان يجري في دير العذارى^(٧٣).

(٧٠) معجم البلدان ٥ : ٢٦٣. وانظر كذلك شعراً للقتال في الفقي ٤ : ٢٧٠، وللأحوص في كداء ٤ : ٤٤٠، ولعمدي بن الرقاع في جاسم ٢ : ٩٤.

(٧١) معجم البلدان، دير صليبا ٢ : ٥١٩. وانظر شعر ابن الشبل النحوي في دير درتا ٢ : ٥٠٨، ومحمد بن أبي أمية في دير الجاثليق ٢ : ٥٠٣، وابن المعتز في دير عبدون ٢ : ٥٢١، وجحظة البرمكي في دير العذارى ٢ : ٥٢٢.

(٧٢) يُضْرَبُ لِمَنْ طَلَبَ حَاجَةً إِلَى مَنْ أَسَاءَ إِلَيْهِ، انظر المستقصى ٢ : ١٤٩.

(٧٣) انظر على التوالي : معجم البلدان، كرنبا ٤ : ٤٥٧، طحال ٤ : ٢٢، جوائز ٢ : ١٧٤، بعلبك ١ : ٤٥٤، دير العذارى ٢ : ٥٢٣.

٤ - وللرثاء في الديوان نصيب يؤق به كما يؤق بالغزل . فكما كان يُذكر بذكر بلدٍ أشهرُ من خرج منه ، كان يردُّ رثاء من مات من مشاهيره . فقد رثى القاضي أبو حامد الشهرزوري قاضي القضاة بالشام سنة ٥٧٢ هـ بقصيدة طويلة مطلعها :

أَلُمُوا بسفَحَيَّ قاسيون فسَلُّمُوا على جدث بادي السَّنا وترَحُّمُوا^(٧٤)

ومنها في ذكر هول المصاب وجسامته :

سأنسي الورى الخنساء حزناً وحسرةً ويخجل من وجدي عليه متمم
لقد عَظُمَتْ بالرَّغم عني مصيبي وإنَّ ثوابي لو صبرتُ لأعظم

ورثى العجير السلولي ابن عم له يقال له جابر بن زيد ، وكان كريماً مفضلاً . قيل له مرة : ما لك لا تكثر إيلك؟ فقال : إن العجير لم يدعها تكثرًا . وكان ينحرفها ويطعمها للناس من أجل ما مدحه به العجير . قال في مطلع قصيدته في رثائه :

تركنا أبا الاضياف في ليلة الدجى بمِرٍّ ومردى كلِّ خصم يناضله^(٧٥)

٥ - الأخبار الأدبية والقصص الأدبي : حفل ديوان ياقوت بالأخبار الأدبية التي تحمل الطرائف والقصص ، وتشدُّ القارئ إلى مادة الكتاب وتستثيره وتمتعه . فقد جاء في قصة دنانير البرمكية مع الرشيد ما نصّه : « وهذا خبر استحسنته ، فيه ذكر الطالقان في شعر أوردته ها هنا ليستمتع به القارئ »^(٧٦) فالأخبار التي يوردها فيها الشعر وفيها متعة القارئ ، زد على ذلك ما في هذا القصص من عبر واعتبار ، فقصة دنانير المذكورة تومئ بإخلاصها لسادتها البرامكة ووفائها لهم بعد زوال دولتهم وأقول نجمهم . وقصة خالد بن الوليد مع هند بنت النعمان بن المنذر ولقائه إياها حين دخل الحيرة فاتحاً ، تعبّر عن كثير من معاني الوفاء لقومها والإخلاص لهم والدفاع عنهم^(٧٧) . وفي مادة الشاذياخ^(٧٨) - وهي نيسابور - يروي ياقوت قصة جارية اشتراها

(٧٤) معجم البلدان ، قاسيون ٤ : ٢٩٦ .

(٧٥) معجم البلدان ، مرّ ٥ : ١٠٥ . وانظر أيضاً رثاء الخليفة المنصور عمراً بن عبيد (مران ٥ : ٩٥) ، ورثاء الشريف الرضي عمربن عبدالعزيز (دير سمعان ٢ : ٥١٧) ، ورثاء عبيدالله بن قيس الرقيات مصعباً بن عمير (مسكن ٥ : ١٢٧) ، ورثاء أوس بن بجير والده بجيرا وقد قتله قعنّب بن الحارث (المروت ٥ : ١١١) .

(٧٦) معجم البلدان ، طالقان ٤ : ٧ .

(٧٧) معجم البلدان ، دير هند الصغرى ٢ : ٥٤١ .

(٧٨) معجم البلدان ٣ : ٣٠٦ .

وأحبها ثم باعها مضطراً «فخاطبت مولاهما في ردّها (عليه) بما أوجبت به على نفسها عقوبة». فاستدعت لنفسها ماجرّه عليها وفاؤها للسيد الأول وصدق مشاعرها الإنسانية تجاهه. فقال يا قوت في ذلك شعراً أوّله:

الا هل ليالي الشاذياخ تؤوب فإني إليها ما حييتُ طُروبُ
بلادُ بها تُصبي الصُّبا ويشوقنا الشَّد - مال ويقتاد القلوبَ جَنوبُ
لذاك فؤادي لا يزال مروّعاً ودمعي لفقدان الحبيب سَكوبُ

وفي مادة الأحص (٧٩) قصة الشاعر المعروف بالناشيء الأحصي وخبره الطريف مع سيف الدولة الحمداني، ودلالة هذا الخبر على ذكاء سيف الدولة وفطنته وحصافته. وفي مادة المروة (٨٠) حديث من أحاديث السمر بين نصيب الشاعر ونسوة لقيهنّ في مكة، جعلن يتبارين في إنشاده الشعر، وأنشدن له دون أن يعرفنه، فعرفهنّ بنفسه بأنه «ابن المقدوفة بغير جرم»!

ومن طرائف المجالس الأدبية ما رواه أحمد بن النبي الأبيدي من قوله «قدمت حص الأندلس - يعني إشبيلية - فجمعي جماعة من شعرائها في مجلس، فأرادوا امتحاني فقال من بينهم أبو محمد عبدالله بن سادة الشتريني وكان مقدّمهم:

هذي البسيطة كاعبُ أترابها حُلّ الربيع وحلّيتها الأزهار
فقلت:

وكأنّ هذا الجوّ فيها عاشقٌ قد شَفّه التعذيب والإضرار
فإذا شكا فالبرق قلبٌ خافقٌ وإذا بكى فدموعه الأمطار
فلأجل ذلة ذا وعزّة هذه يبكي الغمام ويثسم النوار» (٨١)

وفي إجازة هذا الشعر - بما يوافق معناه ويكمل صورته المبتكرة في «المزوجة» بين الأرض

(٧٩) معجم البلدان ١ : ١١٤ - ١١٥.

(٨٠) معجم البلدان ٥ : ١١٦.

(٨١) معجم البلدان، بنة ١ : ٥٠١. وانظر أيضا رسالة أدبية كتبها عبدالله بن المعتز إلى صديق له، يمدح سرّ من رأى ويصف خرابها ويذم بغداد ويفضل سامراء (سامراء ٣ : ١٧٧)، ونزول طيء بجبل أجاء وسلمى في كلام طويل (أجاء ١ : ٩٧)، ولقاء المبرد في دير هزقل (٢ : ٥٤١) مع أحد نزلاء الدير ممن احتفظ بمسكة من الأدب، فأفصح ببيان معجب وأنشد من الشعر ما صفا وراق.

وفضائها، بأسلوب مشوق وتشبيهات بديعة - سرعة بديهة وقوة عارضة وخصب خيال.

٦ - الأحداث التاريخية والقصص التاريخي: وعلى نسق الأخبار الأدبية ساق ياقوت أخباراً تاريخية ضمّنها أحداثاً مفصلة وأشعاراً متنوعة. فمن ذلك خبر مقتل مصعب بن الزبير، ورثاء عبيدالله بن قيس الرقيات إياه شعر أوله:

إن الرزية يوم مسـ كن والمصيبة والفجيعة
بابن الحواريّ الذي لم يَغْدُهُ يوم الوقيعه

وخبر قاتله عبيدالله بن زياد الذي قتل مصعب أخاه نائياً بن زياد، فنذر ليقتلن به مئة من قريش، فقتل ثمانين ثم جاء برأس مصعب إلى عبدالمك. فلما نظر إليه سجد فهمّ عبيدالله ان يفتك به فارتد عنه قائلاً:

هممت ولم أفعل وكدت وليتني فعلت ووليت البكاء حلائله

ولا يكتفي ياقوت بسرد الأحداث ولكنه يوازن بين الروايات ويرجح بعضها فيقول: «هكذا أكثر ما يروى، والصحيح أن عبيدالله لم يقتله وإنما وجده قد ارتت بكثرة الجراحات فاحتز رأسه». ثم يورد شعراً لعبيدالله مطلعاه:

يرى مصعب أي تناسيت نائيا وبش لعمر الله ما ظن مصعب
ووالله لا أنساه ما ذر شارق وما لاح في داج من الليل كوكب

ويهرب عبيدالله إلى عُمان فيقضى عليه بالسّم هناك^(٨٢).

على أن هذه الأحداث والأخبار شُيِّت أحياناً بما يمكن أن يصنف في باب الأساطير والخرافات، كما أخبر بعض العرب «أنه كان في رفقة سير في رمل عالج، قال: فأضللتنا الطريق ووقفنا إلى غيضة عظيمة على شاطئ البحر، فإذا نحن بشيخ طويل له نصف رأس وعين واحدة، وكذلك جميع أعضائه. فلما نظر إلينا مرّ يركض كالفرس الجواد وهو يقول:

(٨٢) انظر معجم البلدان، مسكن ٥ : ١٢٧. وتراجع كذلك قصة عفيرة بنت غفار أخت سيد جديس، الأسود بن غفار مع الملك عمليق ملك اليمامة (اليمامة ٥ : ٤٤٢)، وقصة جعفر بن علبة الحارثي مع العقيلين وما جرى بينه وبينهم من خصومة وثار، وما آل إليه من الحبس، وما نظم من شعر في كل ذلك (سحب ٣ : ١٩٤).

فهررت من جور الشراة شدًا إذ لم أجد من الفرار بدًا
قد كنت دهرًا في شبابي جلدًا فها أنا اليوم ضعيف جدًا^(٨٣)!

ومثلها وازن ياقوت بين الروايات التاريخية ورجع بعضها، فقد ربط الروايات الخيالية بخيال القصص فقال - بعد الفراغ من سرد بناء إرم ذات العماد التي بناها شداد بن عاد في الأرض على صفة الجنة، ومسير بانيها إليها وهلاكه ومن معه جميعاً، وسوخ المدينة في الأرض ورؤية عبدالله بن قلابه إياها زمن معاوية، ووصف حفيرة شداد في حضرموت في شعر ذكره - قلت: هذه القصة مما قدّمت البراءة من صحتها، وظننا أنها من أخبار القصص المنمّقة وأوضاعها المزوّقة^(٨٤).

يقول خليل مردم بك:

إذا الشعر لم ينفث به ربه السحرا لعمرُ القوافي الغرّ ما فقّه الشعرا
أرى - وحقيقٌ بالقبول الذي أرى - بشيئين أضحي الشعرُ قد فُضِّلَ الشرا
بنسجٍ كنسج البحتريّ وحكمةٍ تضارع ما كان المعريّ به مغرّى^(٨٥)

ويقول الدكتور شكري فيصل: «إننا نأخذ الأشياء أو نؤخذ بها، ولكننا نحب أن نؤخذ بها أو نأخذها في صورة جمالية^(٨٦)».

لم يكن ياقوت في معجم البلدان مؤلفاً جغرافياً فحسب، ولكنه كان أديباً مرهفاً مكّنه إحساسه من بناء ديوان معجمه الشعري بناءً محكماً متكاملًا قائمًا على حسن الاختيار وجودته. ولئن كان الاستشهاد الأساسي في المعجم هو استشهاداً بشعر البلدان - وشعر البلدان بما فيه من أسماء الأمكنة والمواضع، إذا أخلص لهذه الغاية، خالٍ من كثير من العواطف والمشاغبات - إن ياقوتاً تحرف بقدره عن هذا الجمود في هذا اللون من الشعر، بإلباسه صنوفاً وألواناً أخرى حسّنت مقاطعه وفواصله وغشّته بحلل زاهية، فاكتسب بحسن الاختيار جودة الدلالات وسيرورة الأمثال وسهولة العبارات وطواعية اللغة وشاعرية الألفاظ وروعة الصور وجمال

(٨٣) معجم البلدان، وبار ٥ : ٣٥٨. وانظر أيضاً القصة التالية لهذا الخبر في المادة نفسها.

(٨٤) معجم البلدان، إرم ذات العماد ١ : ١٥٧.

(٨٥) ديوانه ص ٤٧ وما بعدها.

(٨٦) مجلة مجمع اللغة العربية، المجلد ٤٧، ص ٧٥٤.

الإيقاع ، كل أولئك يتلمسه قارئ ديوان المعجم ، ويتنقل بين زهراته ناعماً بأريجها مستلهاً وحياً مأخوذاً بسحرها .

وحسن اختيار الشعر المذكور أول ما يلقانا في هذا الديوان - ويقع ذلك في وجهين : الأول هو الاستطراد في ذكر الشاهد المتصل بالمكان ، بذكر شعر لا يمت إلى المكان بصلة . والثاني هو حسن الاختيار ابتداءً ، ونقصد به اختيار القطعة الشعرية الجميلة ، لا يدعو إلى اختيارها إلا جودتها وما تثيره من التأثير وتحلفه من الانفعالات . ووجه القول في الصنف الأول أن ياقوتاً كان يدرك أن شعر البلدان - من حيث احتواؤه على أسماء الأماكن - محتاج إلى « الماء والرواق » ، إلى ما يخفف من جفافه ويكسبه حياة وحيوية ، فكان غالباً يسوق مع شاهد البلدان أشعاراً أخرى يتحقق بها المراد من نداوة الشعر ونضارته ، فيجعله أدنى إلى القبول والصق بالنفوس ، كما في الأبيات التالية يلقها الشاعر ببردة الحنين ، ويكني فيها عن المرأة ، يذكرها كناية وقد حيل بينه وبين ذكرها صراحة (٨٧) :

أب الله إلا أن سَرَحَةً مالك	على كل سَرَحَات العِضاه تروق
سقى السَرَحَةَ المحلال والأبطح الذي	به الشَّرِي غيثٌ مُدَجِّنٌ وبُروق
ويا طيَّبَ رِيَّاهَا ويا بَرْدَ مائِها	إذا حان من حامي النهار ودوق
حى ظلُّها شكسُ الخليفة خائفٌ	عليها عُرَام الطائفين شفيق
فلا الظِّل من بَرْد الضحى تستطيعه	ولا الفَيء من برد العشي تذوق (٨٨)

أما الصنف الثاني من الشعر الذي يُختار لحسنه فميدان الاختيار فيه واسع يتناول الشعر والشاعر معاً (٨٩) . وإحسان صاحب الديوان في الاختيار مرتبط بإجادة الشاعر في التعبير عن فكرته وغرضه ارتباطاً وثيقاً . إنه بهذا الاختيار لا ينفك يبحث عن نكتة أسلوبية أو طرفة بلاغية أو رائعة من روائع التعبير ، أو أسلوب من أساليب المقابلة والمقارنة .

(٨٧) كان عمر رضي الله عنه حذر على الشعراء ذكر النساء ، فقال حميد بن ثور : وما لي من ذنب إليهم علمته سوى أنني قد قلت يا سرحة اسلمي انظر الحاشية ٣٢ ص ٣٨ من ديوان حميد ، والأبيات في تلك الصفحة وما بعدها .

(٨٨) معجم البلدان ، الأبطح ١ : ٧٤ .

(٨٩) تتمثل حرية اختيار الشعر والشاعر معاً في قول ياقوت ، في معرض كلامه على العيزارة : منها كان ربيعة الرقي القائل .. انظر ٤ : ١٧٢ .

ففي أبيات ربيعة الرقي التي يقارن فيها بين الفتى الأزدي في إتلاف ماله، والفتى القيسي في جمع ماله فيقول:

لشّان ما بين اليزيديين في الندى	يزيد سليم والأغرّ بن حاتم
يزيد سليم سالم المال والفتى	أخو الأزدي للأموال غير مسلم
فهّم الفتى الأزديّ إتلاف ماله	وهم الفتى القيسيّ جمع الدراهم
فلا يحسب التمتام أني هجوته	ولكنني فضّلت أهل المكارم
فيا بن أسيد لا تُسام ابن حاتم	فتقرّع إن ساميته سنّ نادم
هو البحر إن كلّفت نفسك خوّضه	تهالكّت في موج له متلاطم ^(٩٠)

كانت «مسألة المال ومحاربه» و«قرع سنّ الندم» و«تهالك في الموج المتلاطم» وقافية الميم المكسورة المؤسسة بالألف، ظواهر مشوقة تغري بالاختيار.

وفي أبيات البعث التي يتذكر فيها ليلي ويحنّ إليها فيقول:

أزارتك ليلي والرفاق بغمرة	وقد بهرّ الليل النجوم الطوالع
وأني اهتدّت ليلي لعوج مناخية	ومن دون ليلي يذبلّ فالقعاقع
تمطّط إلينا هول كل تنوفة	تكّل الصبا في عرضها والنزاع
طمعت بليلي أن تربيع وربما	تقطع أعناق الرجال المطامع
وباعت ليلي في الخلاء ولم يكن	شهودي على ليلي عدول مقانع
وما أنت في شرّ إذا كنت كلما	تذكرت ليلي ماء عينك دافع ^(٩١)

كانت «قعقة» القافية تملأ السمع، وكان تكرار ذكر ليلي في الشعر درراً متماثلة زانت عقد النظم: هي ثلاث في كل جانب من جانبي العقد تتوسطها الدّرة السابعة. وكان المثلّ الذي أطلقه: ربما تقطّع أعناق الرجال المطامع، نفثة مصدور يائس. وكان بناء النظم بـ «بهر الليل النجوم» و«تمطّط إلينا» و«تكّل الصبا» و«ما أنت في شرّ» أمراً تحيط به المعرفة ولا تدركه الصفة كما يقول النقاد القدماء. وقبل ذلك كله ويعدّه كله تجلّي هذا الجو النفسي الذي يسيطر على الأبيات في تصوير شخصية المحب نأت عنه محبوبته وامتدت دونها التناثف، فلا زورة

(٩٠) المرجع السابق.

(٩١) معجم البلدان، القعاقع ٤ : ٣٧٨.

الخيال بمتحققة، ولا المطمع في الوصل بمرجوة، فلا يملك وقد فقد فرصتي اللقاء الا الدموع والبكاء.

وامتاز كثير من شعر ديوان المعجم بسهولة العبارة وطواعية اللغة و«شاعرية» الألفاظ وروعة الصور. وسأخذ من مقطع من قصيدة لحمد بن ثور مثلاً لذلك يقاس عليه، تستين به هذه الظواهر الشعرية. على أن المعجم مثقل بمثل هذا الشعر الرائق، لا يخلو منه جزء من أجزائه أو تنفرد به مادة من مواده^(٩٢). يقول حميد:

١. وما هاج هذا الشوق إلا حمامة
 ٢. من الورق حماء العلاطين باكرت
 ٣. إذا زعزعت الریح أو لعبت به
 ٤. تنادي حمام الجلهتين وترعوي
 ٥. مطوق طوق لم يكن عن قيمة
 ٦. تقيض عنه غرقى البيض واكتسى
 ٧. يمد إليها خشية الموت جيده
 ٨. فلما اكتسى الريش السخام ولم يجد
 ٩. أتيح لها صقر منيف فلم يدع
 ١٠. فأوفت على غضن ضحياً فلم تدع
 ١١. فهاج حمام الجلهتين نواحها
 ١٢. إذا شئت غتني بأجزاء بيضة
 ١٣. عجب لها أن يكون بكاؤها
 ١٤. فلم أر محزوناً له مثل صوتها
 ١٥. ولم أر مثلي شاقه صوت مثلها
- دَعَتْ ساقَ حَرِّ تَرْحَةٍ وتألما
عسيبَ أشاءِ مطلَعِ الشمس مبسما
أرئتُ عليه مائلاً ومقوماً
الى ابن ثلاثِ بين عُودَيْنِ أعجما
ولا ضربِ صواغٍ بكفِّيه درهما
أنابيبَ من مستعجلِ الريش أقتما
كمدك بالكفِّ البريِّ المقوماً
لها معه في باحة العشِّ تجشما
لها ولداً إلا رماماً وأعظما
لباكية في شجوها متلوماً
كما هيبتْ ثكل على الموت مائما
أو النخلِ من ثلثتْ أو من يئبما
فصيحاً ولم تغر بمنطقها فما
أحرز وأنكى في الفؤاد وأكلما
ولا عربياً شاقه صوتُ أعجما^(٩٣)

(٩٢) انظر مثلاً الأشعار النجديات (نجد ٥ : ٢٦٢)، وما قيل في دير اللج ٢ : ٥٣٠.

(٩٣) معجم البلدان، يميم ٥ : ٤٢٨. والأبيات جزء من قصيدة طويلة عدتها في ديوان حميد (ص ٧ - ٣٠) مئة وتسعة عشر بيتاً، اجتزأ منها ياقوت جزءاً متكاملأً استشهد به على «يميم»، واقعاً في الديوان بين البيتين ٧٨ - ٩٥، وأسقط منه سبعة أبيات (أرقامها في الديوان ٨٣ - ٨٥، ٨٩ - ٩١، ٩٥)، وزاد على ما في الديوان ثلاثة أبيات ليست فيه (أرقامها عنده ٦، ٧، ١١). وجاء البيت ٩٤ في الديوان ملفقاً من البيتين الأخيرين في المعجم، صدره صدر البيت الأول وعجزه عجز الثاني. واختلفت رواية بعض الأبيات بين المعجم والديوان اختلافاً طفيفاً.

هذا المقطع الذي أورده ياقوت من قصيدة حميد، وأودع فيه لواجع الحنين والشوق سبقه جزاء: الأول في وصف الراحلة وصفا دقيقاً، وذكر التحمل والغبط ذكراً مفصلاً، والثاني في الظئينة والتحمل والسير. وتبعه مناجاة الشاعر خليلين له يسألها عودة المحبوبة، فلا يقضيان حاجة أو يبرمان أمرا.

وقد استطاع الشاعر التعبير عن لوعته وحنينه وشوقه إلى محبوبته المفارقة بتأثير واقتدار، مستغلاً مشاعر الحنين التي أودعت قلوب المخلوقات جميعاً، متوسلاً لذلك بحنين الحمامة إلى فرخها ولهفتها عليه. حتى إذا ما بلغ هذا الحنين أوجه تَفجأ الأم بفقد صغيرها فتقطع أسي وحسرة لفقده. والشاعر يشجيه ذلك ويحزنه، فيتجاوب صدى حزنها بما أثقل صدره من الوجد والحنين فيعرب كلّ منهما عن هذا الحزن بلغته ويترجم عنه بأسلوبه. الفكرة المشتركة إذن، التي قادت إلى ذكر الحمامة المطوقة وفرخها ابن الثلاث هي أن كلاً منهما قد فقد ألفه ومحبوبه. فالصورة الخاطفة في فقد الفرخ لم تقف عندها ريشة الشاعر ولم توضح تفاصيلها، لأنها ليست مقصودة لذاتها بل المقصود ما خلّفته من أسي وحزن عميق.

وإذا ما توقفنا عند هذه الصورة الخاطفة تساءلنا: هل تُمثّل الصراع العنيف بين مظهرين من مظاهر الحياة؟ أو أنها تمثّل تسلّط أحدهما على الآخر في كل حين ومكان، لا ينفك عنه ولا يتنهد: تسلّط القوي على الضعيف والعدوان عليه دون سبب أو مبرر؟. أهي وسيلة للتعبير عن الصراع الأزلي بين الحق والباطل، وعن أن انتصار الباطل مرحلة مؤقتة تزول بغلبة الحق، فتُمحي الآثار التي خلّفها والأحزان التي رسمها على الوجوه وعمّقها في القلوب؟.

على أن الأبيات تضحّ بالتراكيب الجميلة المعبّرة فتعين على التذوق الجمالي للنص وترفده بروافد قوية من حسن الأداء وجودة التعبير. فمن ذلك أن الريح تزعزع الغصن^(٩٤)، وفي زعزعة الريح الغصن أو هزهزته ما فيها من إضفاء الصوت والحركة على الفعل، فإذا اللفظة تعبّر أشدّ تعبیر عن المعنى المراد. ومن ذلك ما شبّه به الريش بالأنابيب، وما عبّر به من «مستعجل الريش» عن سخام الريش أول ما ينبت على جسد الطائر^(٩٥).

وإذا كان للألفاظ دلالاتها، وإذا كانت الأصوات تمثّل مرحلة بدائية في التعبير عن المقصود، فإن لغة الأصوات ما زالت وسيلة خاصة للتواصل بين المحبين، بل وسيلة راقية ولغة

(٩٤) البيت الثالث. وفي ديوان حميد: إذا هزهزته الريح.

(٩٥) البيت السادس.

فصيحة، هي أشبه ما تكون بإشارات للتواصل بينهم، لا يقولها فم ولا ينطق بها لسان^(٩٦). ومع أن العربي لا يحب العجمة ولا يطرب لها، لكن الشاعر أحب هذا الصوت الأعجم^(٩٧) واهتز له، لأنه حرك في أعماق نفسه دفائنها ولأنه حكاية لما في صدره من الحنين والشجن وصدى له.

ولقد تدرجت هذه الصورة في التعبير عن الأحاسيس النفسية في أربعة مستويات، يمثل المستوى الأول فصاحة الأصوات دون نطقها بفم. وهي في المستوى الثاني أصوات تتميز بنبرة الحزن العميقة المؤثرة. وفي المستوى الثالث هي نبرة حزن مؤثرة تأثيراً خاصاً بنفسية الشاعر الحزينة لم يهزه غيرها ولم يشجّه سواها. وهي بعد تفعل هذا كله معجمة غير مُفصّحة.

بقي أن أشير إلى ما يستشفه قارئ هذا النص الشعري من آفاق إيقاعية، مفاتيحها حروف مكررة في بعض الأبيات، تمد من هذه الآفاق وتوسع مداها، مثل تكرار العين مع الزاء حيناً ومع اللام حيناً في البيت الثالث، وتكرار القاف في البيتين الخامس والسادس، وتوالي الميم والدال والجيم والكاف في البيت السابع، والحاء والجيم والهاء والميم في البيت الحادي عشر، وما في اسم المكان في البيت الثاني عشر «بيمب». وأي إيقاع أجمل مما حمله هذا البيت بتواتر ألفاظه وحروفه:

ولم أر مثلي شاقه صوتٌ مثلها ولا عربياً شاقه صوت أعجمياً؟

يلفت النظر في أشعار ياقوت بحور خاصة كثر استعمالها، وبحور قلّ استعمالها وأخرى لم تستعمل البتّة (انظر الجدول ٦). وكذلك ورود قواف معينة أكثر من غيرها (انظر الجدول ٧) وهذا شأن أي ديوان شعري: يكثر فيه استعمال البحور المطروقة، ويقل فيه ورود بحور أخرى، وينعدم استعمال بحور مهجورة، ويكثر فيه النظم على قوافٍ مطروقة سهلة ويقل على قوافٍ أخرى. ولعل مرّة ذلك بالنسبة للبحور سهولة ركوب بعضها، لكثرة حركاته وسكناته وزخافات، وتوالي أسبابه وأوتاده، ممّا يَمكّن الشاعر من الاقتراب ممّا يريد التعبير عنه اقتراباً لا يستطيعه في بحور أخرى. فضلاً عن أن البحور المهجورة أو النزرة الاستعمال بحور لم تنظم عليها العرب أو لم تكثر من النظم عليها.

(٩٦) الأبيات ١٣ - ١٥.

(٩٧) جاء في الصحاح (عجم): كل من لا يقدر على الكلام أصلاً فهو أعجم. والأعجم أيضاً: الذي لا يفصح ولا يبين كلامه. والأعجم أيضاً: الذي في لسانه عجمة وإن افصح بالمعجمة.

وقد أقام بعض الدارسين علاقات بين البحور المستعملة والأشعار التي تنظم على هذه البحور، وربط بين الأوزان والمضامين، فجعل الطويل مثلاً أكثر مساعفة في التعبير عما يريد الشاعر لقربه من النثر. أما البسيط فهو يقرب من الطويل، ولكن لا يتسع للمعاني اتساعه، ولا يلين لينه للتصرف بالتراكيب مع تساوي أجزاء البحرين، ولكنه يفوقه رقة وجزالة، ولهذا قل في الجاهلية وكثر في شعر المولدين. والوافر ألين البحور يشد إذا شددته ويرق إذا رققته. والكامل أتم البحور السباعية، وهو أقرب إلى الرقة ويصلح لأكثر الموضوعات. والخفيف أخف البحور على الطبع وأطلاها للسمع. وإذا جاد نظم رأيته سهلاً ممتعاً لقرب الكلام المنظوم فيه من القول المنثور. أما الرجز فصالح لنظم العلوم لأنه أسهل البحور نظماً وأقلها ملاءمة لتصوير الانفعالات^(٩٨).

أما بالنسبة للقوافي فلعلّ مردّ كثرتها في حروف معينة وقلّتها في حروف أخرى، كثرة مفردات اللغة التي تستوعبها هذه الحروف ومترادفاتها، مما يسعف الشاعر بإيجاد القافية المناسبة للمعنى المناسب، فالنظم على قافية اللام أو النون أو الدال أو الراء أو الميم أيسر بكثير من النظم على قافية الصاد أو الخاء أو الثاء. وهذه ملاحظة مطردة في أكثر دواوين الشعر العربي. والخلاصة أن الناظر في معجم البلدان يستطيع أن يهنيء لنفسه متعة قراءة ديوان شعري متكامل، بكل جمالياته ومعطياته الفنية وخصائصه الشعرية وصوره البديعة.

(٩٨) ذكرت من العلاقات بين البحور ومضامينها أكثر البحور تردداً في معجم ياقوت. وانظر أصول النقد الأدبي ص ٣٢٢ - ٣٢٤.

جدول (١)

أشعار المعجم

١٥٤٧١	عدد أبيات المعجم
٧١٠٧	عدد مواضع الاستشهاد
٢, ١٧	معدل عدد أبيات الاستشهاد في الموضع الواحد

- حذف من عدد الأبيات المذكور في الجدول الأبيات المكررة.
- وعُدَّت أنصاف الأبيات الواردة في المعجم وأجزاؤها أبياتا.
- ودلَّ معدل عدد أبيات الاستشهاد في الموضع الواحد على عدم اقتصار ياقوت على الاستشهاد بالبيت الواحد، يقع فيه ذكر الموضع أو المكان المراد الاستشهاد له، في كثير من الأحيان.

جدول (٢)

مواضع الاستشهاد بالشعر

٧١٠٧ مواضع	مواضع الاستشهاد بالشعر عامة
٥٦٣٦ موضعاً	مواضع الاستشهاد بشعر منسوب لقائله
٢٠٨ مواضع	مواضع الاستشهاد بالإنشاد والرواية
١٢٦٣ موضعاً	مواضع الاستشهاد بشعر مجهول القائل
٪٨٢, ٢٣	نسبة الشعر المنسوب إلى جملة الشعر
٪١٧, ٧٧	نسبة الشعر المجهول إلى جملة الشعر

عُدَّ الشعر المروي بالإنشاد، في جملة الشعر المنسوب. ويتبين من هذا الجدول فيما يتصل بالشعراء:

- قلة مواضع الاستشهاد بالشعر المجهول القائل، وكثرة الاستشهاد بالشعر المعروف قائله، إذ قلَّت نسبة الأولى إلى الثانية عن الخمس (١ : ٥). وهذه النسبة العالية للشعر المنسوب تجعل من معجم البلدان مرجعاً أصلياً لتوثيق الشعر الجاهلي والإسلامي وتخرجه ونسبته إلى قائله.

- حرص ياقوت على نسبة ما استطاع نسبه من الشعر إلى قائله . وقد تقلّ نسبة الشعر المجهول إلى السّدس إذا علمنا أن كثيراً من هذا الشعر كان معروف القائل عنده فأغفله للعلم به . وآية ذلك أنه يستشهد بالشعر نفسه منسوباً في موضع ومجهولاً في موضع ، وأنه يستشهد بأبيات من قصيدة واحدة فينسب بعضها في موضع ويغفل نسبة بعضها الآخر في موضع آخر .

جدول (٣)

شعراء المعجم وشعراء المجموعات الشعرية

النسبة المئوية	عدد شعراء ياقوت	عدد الشعراء	
	منهم		
٨٦,٨٤	٩٩	١١٤	طبقات فحول الشعراء
٩٠,٩٠	٦٠	٦٦	المفضليات
٩٣,٨٧	٤٦	٤٩	جمهرة أشعار العرب

يمثل هذا الجدول جانب الشعراء المشهورين من شعراء معجم ياقوت، ويبرز النسبة العالية لمجموع هؤلاء الشعراء، مقارنةً بمجموع شعراء كل من المجموعات الشعرية الثلاث، مما يدل على شهرتهم وسيرورة أشعارهم.

جدول (٤)

شعراء ديوان ياقوت المكثرين

الشاعر	عدد مرات الاستشهاد	النسبة المئوية لمجمل الشعر	النسبة المئوية بين الشعراء المكثرين
كثير	٢٧٩	٣,٩٢	١٤,٧١
جرير	٢٢٨	٣,٢٠	١٢,٠٢
ابن مقبل	١٥٤	٢,١٦	٨,١٢
الأعشى	١٢٦	١,٧٧	٦,٦٤
الراعي	١٢٥	١,٧٥	٦,٥٩
امرؤ القيس	١٢٤	١,٧٤	٦,٥٤
ليبد	٩٥	١,٣٣	٥,٠١
ذو الرمة	٩١	١,٢٨	٤,٧٩
المتنبي	٨٢	١,١٥	٤,٣٢
النابعة الذبياني	٧٩	١,١١	٤,١٦
الأخطل	٧٢	١,٠١	٣,٧٩
عدي بن الرقاع	٧٠	٠,٩٨	٣,٦٩
الفرزدق	٥٩	٠,٨٣	٣,١١
زهير	٥٥	٠,٧٧	٢,٩٠
عبيدالله بن قيس الرقيات	٥٤	٠,٧٥	٢,٨٤
البحتري	٥٣	٠,٧٤	٢,٧٩
أبو ذؤيب الهذلي	٥٣	٠,٧٤	٢,٧٩
بشر بن أبي خازم	٤٩	٠,٦٨	٢,٥٨
القتال الكلابي	٤٨	٠,٦٧	٢,٥٠
المجموع	١٨٩٦	٢٦,٦٧	

المراد بالشعراء المكثرين من زادت مواضع الاستشهاد بأشعارهم في المعجم عن ٤٨ موضعاً. ويتبين من هذا الجدول:

- أن الشعراء المذكورين فيه هم أكثر الشعراء استشهداً بأشعارهم في معجم البلدان، وأن نسبة الاستشهاد بأشعارهم إلى جملة الشعر المستشهد به المنسوب إلى قائله في المعجم نسبة كبيرة فاقت الثلث (١ : ٣)، لذا يمكن عدّهم نواة شعراء «ديوان المواقع والأماكن حتى القرن السابع» أو نواة «ديوان الأطلال في الشعر العربي» أو شعراء «ديوان ياقوت الحموي» المكثرين.

- أن كثير عزة وجريراً هما الشاعران الأكثر استشهداً بشعرهما، وأنها يقفان في الصف الأول بين الشعراء، وأن ابن مقبل والأعشى والراعي وامراً القيس هم شعراء الصف الثاني في الديوان، وأن شعراء الصّفين الأول والثاني هم أكثر شعراء العرب - بمن استشهد بهم ياقوت - ذكراً للمواقع والأماكن والطلول، وأن نسبة أشعارهم إلى مجموع أشعار المكثرين فاقت النصف.

جدول (٥)

شعراء المعجم والشعراء المكثرون فيه

عدد مواضع الاستشهاد بالشعر عامة	٧١٠٧ مواضع
عدد مواضع الاستشهاد بشعر منسوب لقائله	٥٨٤٤ موضعاً
عدد مواضع الاستشهاد بشعر مجهول القائل	١٢٦٣ موضعاً
عدد مواضع الاستشهاد بشعر الشعراء المكثرين	١٨٩٦ موضعاً
نسبة الاستشهاد بالشعر المجهول القائل	١٧,٧٧%
نسبة الاستشهاد بشعر المكثرين إلى الشعر المنسوب	٣٢,٤٤%
نسبة الاستشهاد بشعر المكثرين إلى الشعر عامة	٢٦,٦٧%

يستتج من هذا الجدول أن نسبة الاستشهاد بشعر المكثرين من شعراء المعجم، إلى الشعر المستشهد به عامة، قاربت الربع، وأن نسبة الاستشهاد بهؤلاء مقارنة مع الشعر المنسوب لقائله تجاوزت الثلث، وأن نسبة الاستشهاد بأشعار هؤلاء بلغت ضعف مواضع الاستشهاد بأشعار غير منسوبة لقائليها (٢ : ١) تقريباً.

جدول (٦)

توزيع الأشعار على البحور الشعرية

النسبة المئوية		عدد أبيات المعجم
	١٥٤٧١	أبيات البحر الطويل
٤٤,٨١	٦٩٣٤	المديد
٠,٠٩	١٤	البسيط
١١,٩٥	١٨٤٩	الوافر
١٣,٢١	٢٠٤٥	الكامل
١١,٦٩	١٨١٠	الهمز
٠,٣٠	٤٧	الرجز
٤,٣٩	٦٨٠	الرملي
٢,٠٠	٣١٠	السريع
١,٨٨	٢٩١	المنسرح
١,٦٤	٢٥٥	الخفيف
٤,٩٨	٧٧١	المجتث
٠,٢٩	٤٦	المتقارب
٢,٧٠	٤١٩	

من إجابة النظر في هذا الجدول يبين بسهولة ووضوح:

- أن الأشعار المنظومة على أوزان البحر الطويل تقل في مجموعها قليلاً عن نصف أشعار المعجم كلها.
- وأن البحر الوافر يلي الطويل كثرة، ثم البسيط والكامل، مع فوارق قليلة بينها، ويزيد مجموع الأشعار المنظومة على هذه الأوزان الثلاثة عن ثلث مجموع أشعار المعجم.
- وأن خمس الأبيات يتوزع على بحور الشعر المتبقية، عدا المضارع والمقتضب والمتدارك، فلم يرد لها ذكر في أشعار المعجم.

جدول (٧)

توزيع الأشعار على بعض حروف القوافي

النسبة المئوية

	١٥٤٧١	مجموع أبيات المعجم
١٧,٨٠	٢٧٥٥	عدد أبيات قافية الراء
١١,٩٧	١٨٥٢	عدد أبيات قافية اللام
١١,٣٥	١٧٥٦	عدد أبيات قافية الميم
٨,٦٨	١٣٤٤	عدد أبيات قافية الدال
٤٩,٨٠	٧٧٠٧	المجموع

- يتبين من هذا الجدول أن قافية الراء أكثر القوافي وروداً في معجم البلدان، إذ تزيد الأبيات المنظومة على هذه القافية عن سُدس مجموع الأبيات. وأن مجموع الأبيات المنظومة على القوافي الأربع (الراء واللام والميم والدال) تقارب نصف أبيات المعجم.

المراجع

- أصول النقد الأدبي، أحمد الشايب - القاهرة ١٩٧٣.
- الاعلام، الزركلي - بيروت ١٩٧٩.
- تاريخ الأدب الجغرافي العربي، كراتشكوفسكي، ترجمة صلاح الدين عثمان - القاهرة ١٩٦٣.
- جبهة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام، أبوزيد القرشي، تحقيق علي محمد البجاوي - القاهرة.
- ديوان الأعشى الكبير، تحقيق الدكتور محمد محمد حسين - بيروت.
- ديوان البحري، تحقيق حسن كامل الصيرفي - القاهرة ١٩٦٣.
- ديوان حميد بن ثور، صنعة عبدالعزيز الميمني - القاهرة ١٩٥١.

- ديوان خليل مردم بك، تحقيق عدنان مردم بك - دمشق.
- ديوان الراعي النميري، جمعه وحققه راينهرت فايبيرت - بيروت ١٩٨٠.
- ديوان الصنوبري، تحقيق الدكتور إحسان عباس - بيروت ١٩٧٠.
- ديوان عبيدالله بن قيس الرقيات، تحقيق الدكتور محمد يوسف نجم - بيروت.
- ديوان كثير عزة، تحقيق الدكتور إحسان عباس - بيروت ١٩٧١.
- ديوان ابن مقبل، تحقيق الدكتور عزة حسن - دمشق ١٩٦٢.
- ديوان الهذليين (نسخة مصورة) - القاهرة ١٩٦٥.
- ديوان يزيد بن مفرغ، تحقيق الدكتور عبدالقدوس أبوصالح - بيروت - ١٩٨٢.
- الروض المعطار في خبر الأقطار، محمد بن عبدالمنعم الحميري، تحقيق الدكتور إحسان عباس - بيروت ١٩٨٤.
- شرح أشعار الهذليين، تحقيق عبدالستار فراج - القاهرة ١٩٦٥.
- الشعر والشعراء، ابن قتيبة، تحقيق أحمد محمد شاكر - القاهرة ١٩٦٦.
- الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار، بيروت ١٩٨٤.
- طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي، تحقيق محمود محمد شاكر - القاهرة ١٩٧٤.
- كتاب سيبويه، تحقيق عبدالسلام هارون (نسخة مصورة) - بيروت ١٩٨٣.
- لسان العرب، ابن منظور - بيروت.
- مجلة الرسالة، المجلد الخامس.
- مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق، المجلد السابع والأربعون.
- مجمع أشعار معجم البلدان، الدكتور عمر الأسعد (تحت الطبع) - بيروت ١٩٩٢.

- مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع (وهو اختصار لمعجم البلدان)، صفى الدين بن عبدالمؤمن بن عبدالحق البغدادي، تحقيق علي محمد البجاوي - القاهرة ١٩٥٤.
- المستقصى في أمثال العرب، الزمخشري (نسخة مصورة) - بيروت ١٩٧٧.
- معجم البلدان، ياقوت، تحقيق وستفيلد - ليزينغ ١٨٦٦. - نسخة مصورة - طهران ١٩٦٥.
- تحقيق محمد أمين الخانجي - القاهرة ١٩٠٦.
- بيروت ١٩٥٥ (نسخة مصورة - بيروت ١٩٧٩).
- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، البكري، تحقيق مصطفى السقا (نسخة مصورة) - بيروت ١٩٨٣.
- المفضليات، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبدالسلام هارون - القاهرة ١٩٦٤.
- منجم العمران في المستدرك على معجم البلدان، جمعه ورتبه محمد أمين الخانجي - القاهرة ١٩٠٧.
- المؤلف والمختلف، الأمدي، تحقيق عبدالستار فراج - القاهرة ١٩٦١.
- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، السيوطي، تحقيق عبدالسلام هارون والدكتور عبدالعال سالم مكرم - الكويت ١٩٧٥.